

أوائل السور " وعن علي رضي الله عنه، " أن لكل كتاب صفوة، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي "، وقد سئل الشعبي عن هذه الحروف فقال: " سر الله فلا تطلبوه " وهكذا ورد عن كثير من الصحابة والتابعين، والفريق الآخر ينكر أن يكون في كتاب الله ما ليس مفهوماً للخلق، ويرى أن هذا المبدأ يتنافى مع الأوصاف التي وصف الله بها القرآن من أنه " بلسان عربي مبين "، وأنه نزل " تبياناً لكل شيء "، وأنه " هدى للناس " ونحو ذلك من الأوصاف، ويقولون: لو أن فيه ما لا يفهم لما صح فيه وصف من هذه الأوصاف، إلى أدلة أخرى من هذا الوادي، وقد نسب هذا القول إلى المتكلمين، وأثر عنهم في بيان المراد بهذه الأحرف أقوال كثيرة منها: أنها أسماء للسور التي بدئت بها، ومنها أنها رموز لبعض أسماء الله تعالى أو صفاته، فالألف مثلاً إشارة إلى أنه تعالى " أحد، أول، آخر، أبدى، أزلى " واللام مثلاً إشارة إلى أنه " لطيف " والميم إلى أنه " ملك، مجيد، منان " والعين إلى أنه " عزيز، عدل " وروي عن ابن عباس أنه قال في " ألم ": " أنا الله أعلم، وفي " الر ": " أنا الله أرى ... إلى غير ذلك مما يروون، ومنها وهو أشهرها ومختار المحققين منهم كما يقولون، أنها حروف أنزلت للتنبيه على أن القرآن ليس إلا من هذه الحروف التي عرفوها، وألفوا كلامهم منها، وهم قادرون عليها، وعارفون بقوانين فصاحتها وبلاغتها، فلم يكن القرآن بمادته التي يتألف منها غريباً عليهم، وقد تحداهم الرسول بمثل هذا القرآن، أو بعشر سور، أو بسورة واحدة، فعجزوا، فلو كان من عند غير الله ومادته معروفة لهم لا استطاعوا أن ينفوا عن أنفسهم العجز والخزي، ولما جوبهوا بالعجز الدائم المستمر في مستقبل لا يعلم مداه إلا الله " فان لم يفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ".

وردت هذه الأقوال وغيرها عن المتكلمين الذي يرون أن القرآن لا يمكن أن يحتوي على ما لا يفهم الناس، ونحن نرى بادئ ذي بدء أن القول بأنها رموز للأسماء أو الصفات أو لقضايا وصفية لله سبحانه، قول لا يكاد قلب يطمئن إليه،